سلسلة الزرقاوي كما عرفتُه

الحلقة الأخيرة بعنوان:(ج٣)

مؤسسة الفرقان

Alfurqan Media

من... خفايا التاريخ

مستقاة من تجربة أمير "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين"

الشيخ

أبي مصعب الزرقاوي

رحمه الله

صاغها

"ميسرة الغريب"

مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

من خفايا التاريخ

مستقاة من تجربة أمير

"تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين"

الشيخ

" أبي مصعب الزرقاوي "

رحمه الله

قصص وعِبَر * أقوال وأفعال * أفكار وتحليلات

الحلقة الأخيرة بعنوان: "الزرقاوي كما عرفتُه"(ج٣)

صاغها الشيخ : ميسرة الغريب

عضو اللجنة الشرعية

بـــــ "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين"

– سابقاً –

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن وعى التاريخ في صدره *** أضاف أعماراً إلى عُمْـــره

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه الكرام، ثم أما بعد: فنتابع في سلسلة الخواطر والذكريات:

١٧) تهيأَتِ الجموع صَوْبَ "أبي غريب" بقيادة القائد الشجاع "أبي أنس الشامي" ومعه من خيرة القواد الميدانيين لفك أسرى المسلمين الذين أسرهم الصليب وأعوانه ولم يقدم لهم العالَم الإسلامي والعالِم الإسلامي أكثر من اللسان، وكان الشيخ الزرقاوي رحمه الله يتفقد الإخوة عصر الخميس بسيارته فجاءنا "أبو أنس" ليودعنا ومد رأسه ليودع حبيبه الشيخ أبا مصعب، لقد كانت صفحة وجهه كالقمر المتلألئ حتى أنها لفتت نظري وقد انحدرت دموع الوداع منه فسألت "عبد الرحمن البصراوي" –السائق–: أكان أبو أنس يودع هكذا في كل مرة؟

لقد تسلل إلى نفسي شعور قوي أنه اللقاء الأخير بيننا، حقاً لقد جمع "أبو أنس" بين النقيضين عادة: الرقة والشجاعة، وهكذا كان الجيل الذي أعده نبينا عليه الصلاة والسلام: فرسان في النهار رهبان في الليل.

- وانطلقت الجموع وغادرنا مع الشيخ الراحل نتعشى في إحدى بيوتات الأنصار الذين أحبوه وأحبهم؛ وتجاذبنا أطراف الحديث وتطرقنا إلى القرضاوي ما له وما عليه، وإلى علاقة الشيخ السابقة بشيخ المجاهدين أسامة بن لادن وسبب عدم انضمامه في أفغانستان إليه، وأحداث "سبتمبر"...كانت جلسة غزيرة، وإذ بأمير الفلوجة يدخل علينا ليخبر الشيخ بالخبر المفجع! كمين من الأمريكان، وتَزامَنَ هذا مع إعلان الفضائيات –الجزيرة وغيرها– نبأ: مقتل /٦٠/ عنصراً من جماعة "التوحيد والجهاد"، فانقطعت شهيتنا للطعام، ولم يكن ثمة متسع من الوقت لاستجلاء الخبر فلا بد أن ننتظر على جمر الصبر إلى الصباح.

- جاء الصباح الثقيل وتضاربت الأنباء عن القتلى من ومن؟ كلنا يستجلي الحادثة ويستبين الخبر، ويستلهم من مولاه الصبر...قُتل أبو عمار، وأبو محمد اللبناني...وتضاربت الأنباء عن "أبي أنس"، وتوجَّهْتُ إلى "حي الشهداء" وإذ بأبي ميسرة العراقي هناك في زيارة فما أن سَمِعَ نبأ أبي أنس حتى انفجر بكاء لدرجة أنه دَهشني! فما كنت لأتوقع منه كل هذا البكاء، ورحت أزيل غشاوات الشائعات بما استطعت من قوة بيان إلى حين تَبَيُّن الخبر، وجاء المساء، ودخل جنح الليل فَوَصَلَنا قرص فيه صور القتلى، فسارعت مع الشيخ إلى الحاسوب وبدأنا ننظر الصور واحدة واحدة، وقلوبنا تَدُقُّ تنتظر المفاجآت، حتى خرج الوجه النَّيِّر والأصبع الموحدة والتراب المهال عليه رحمه الله فعرفنا أنه حق.

لقد تَجَلَّد شيخنا الراحل لهذا النبأ تجلداً كبيراً وكأني بدمعته قد احتبسها في محاجره ينتظر اختلاء منه بنفسه ليسكب كل ما جمَّعه فيهما، وسرعان ما وجهني إلى المضافات والمفارز وسائر الأحياء، وقال: "صارت مهمتك الآن صعبة"،

يعني في المجال الشرعي بعد فَقْدِ أبي أنس، وطلب مني أن أجوب المفارز وأرفع الهمة، وأخفف الأحزان ببلسم الآلام.

فانطلقت مستعيناً بالله، رغم صعوبة سد فراغٍ كان يَسُدُّه جبلٌ كأبي أنس، بلسانه السيال، ودعابته المرحة، وعلميته الطيبة، وأحمدُ الله أن تَيَسَّر ما لم يكن بالحسبان.

وبسبب الحادث المفجع أصدر شيخنا رحمه الله أمراً بمنع كل الجوالات وانضبط الإخوة فكانت ضربةً موفقةً للعدو إذ استفاد كثيرًا من الجوالات فيما سلف؛ فعَجَباً الآن لإخوة –وخاصة المهاجرين– كيف يستعملون الجوال والمعصية تكتنف المتصل لحظة بلحظة حتى يغلق السماعة ويتوب ويعزم ألا يعود.

لقد سَهَّل العدو سبل الاتصال لغاية يريدها، وما من أخ أُسِرَ إلا وحذر إخوانه في الخارج من خطر الجوال وضرره على العمل الجهادي.

وحسبنا عدد القتلى فإذا به حوالي الثلاثين، فما أكذب الإعلام، وما أكذب الجيش الأمريكي المفلس اللعين! وشتان ما بين الفريقين: المجاهدين والصليبيين؛ فالشيخ أبو مصعب أبي وبشدة ذات مرة نشر خبر فيه زيادة في عدد خسائر العدو عن الحقيقة، وقال بما معناه: "المسلمون ينظرون إلينا وينتظرن منا فلا يجوز أن نخونهم ونُلَبِّس عليهم كما يفعل عدونا".

١٨) وبعد تَبَيُّنِ خبر "أبي أنس" وجَّه شيخنا الإعلاميين ليُجَهِّزُوا إصداراً يتحدث عن "أبي أنس" وبدأ العمل، وكان مما استقرَّت عليه المشورة أن يتكلم كل واحد يعرفه من الأمراء بكلمة عنه، لكنَّ الشيخ لم تنفتح نفسه لأن يتكلم ولا بشقِّ كلمة، وكان من رأي "أبي ميسرة العراقي" رحمه الله أن لا يتكلم الشيخُ بشيء وأن يُكْتَفى بكلام من يعرفه من سائر الأمراء.

وفكرتُ فرأيتُ خيرَ ما أتكلم فيه عنه أبيات من الشعر تعبر عن مشاعري وأحاسيسي؛ فاخترت أبياتاً من نسج أحد الشعراء المعاصرين، مطلعها:

"عينُ جُوْدِي بدمعك الرقراق *** واسكُبيه على أَعَزِّ الرفاق"

ثم تم إنهاء الإصدار، فطلبتُ من شيخنا أن يشاهده ليدلي بملحوظاته قبل نشره على الملأ، فجلس ووضعت الجهاز أمامه وراح يعطي الملحوظات من أول "الفلم"، وكانت سيما وجهه أقرب إلى الحزن والذبول، فلما وصل إلى فقْرَة "عين جودي...إلخ" تَغَيَّرَت ملامحُ وجهه وبدت علائم السرور والإعجاب عليه؛ فاهْتَبَلْتُ الفرصةَ وقلت له: أأعجبتك؟ فقال: نعم، والإلقاء جيد، فقلت: لَمَ لا تأخذها أنت وتلقيها...واسترسلْتُ أُذَكِّرُه بأن رفيقَ دربه من حقه عليه أن يتكلم عنه ولو بشيء يسير....–وكان الشيخ لا يريد التكلم لأنه يرى أن أي كلام لن يوفي حق صاحبه أبي أنس– فقال الشيخ بما معناه: لا ..لا ...الأبيات أنت قلتَها لن آخذها...فورطْتُ نفسي وقلت له: لا عليك أنا أنسج أبياتًا جديدة فهذه ليست من نسجي. فقال: إذن آخذها شريطة أن تقول أنت غيرها، فوافقْتُ والسعادةُ ملأت أحشائي لأن شيخنا سيتكلم بشيء.

فجهزْتُ له أبيات: "عين جودي..." واستأنفت مع الشيخ قائلاً: لماذا لا نكتب ولو كلمات قليلات قبيل الأبيات، وما عليك إلا أن تصف لي شعورك حين وصلك خبر أبي أنس وأنا أترجمه إلى لغة البيان، فكان إلقاؤه حقاً متميـــزاً عن سائر إلقاءاته البطولية، لقد كانت أحاسيسه ومشاعره تخالط نبرتَه وهو يرثي رفيق دربه.

- وبعد هذا نسجْتُ أبياتاً عن أبي أنس رحمه الله كان مطلعها:

ورِدٌ تألق في بستان أحزاني*** جُرْحٌ تَفَتَّق من أعماق وجداني

١٩) وبُعَيْدَ مقتل أبي أنس رحمه الله بدأ احتكاكي الكثيف بكل الإخوة على اختلاف شرائحهم، وتنوع أطيافهم وأعمارهم؛ فالتقيتُ بأخٍ شاميٍّ دخل العراق جديداً وراح يسارري بأمر حدث معه خلاصته أنه التقى قبل الدخول بأخ من الجزيرة العربية في مضافة من المضافات وأثناء الطعام استفسر المُضيف –المنسق– الإخوةَ عن معتقدهم بابن باز وابن عثيمين فتبين له أن الأخ الذي من الجزيرة لا يكفرهما؛ فاستغرب المضيف من ذلك وعنف الأخ ونقل لـــه عن الشيخ أبي مصعب أنه يكفرهما وأن من لا يكفرهما لا يدخل أرض الجهاد، فراح الأخ من الجزيـــرة بتعجـــب يقول: "يعني تمنعني من الدخول"؟ قال: نعم! وحقاً فعل ما توعَّده به فأرجعه من حيث أتى، لكنَّ الأخ الذي يحدثني خاف فلم يُفْصِح عن رأيه في القضية خشيةَ أن يُمْنَعَ هو كذلك من الدخول إلى بلد الجهاد والرباط وبوابة القـــدس بإذن الله تعالى.

وما لبثتُ أن رفعْتُ القضيةَ إلى شيخنا رحمه الله –خاصة وأنه أوصاني أن أنقل له ما يحدث في الساحة خـــشية أن لا يتيسر لرعيته أن يوصلوا له بحكم اختفائه الأمني عنهم– فغضب غضباً شديداً وتوَعَّد الذي نقل على لسانه خلاف رأيه، وأمر نائبه أن يتحرى من الموضوع فإن ثبت على المضيف ذلك فسيُطْرَد من الجماعة، ثم قـــال لي الـــشيخ: صحيح أنني أراهما قد أضلا الأمة بفتاويهما لكني لا أكفرهما، ووالله لو أن الأخ الذي من الجزيرة لا يُكَفِّر "فهد" لما حَرَمْته من الجهاد، وقد دخل العراق كثير ممن لا يكفر الحكومة السعودية ثم حين بُيِّنَت لـــه الأدلـــة اقتنـــع بهـــا لوضوحها.

٢٠) ورغم أن الشيخ كان ينأى بنفسه أن ينكشف بصورته على كل الإخوة خشيةَ أن يتسرب خـــبرٌ فتـــأتي الطائرات وتَدُكُّ المناطق ويتضرر المجاهدون وسائر الناس رغم هذا إلا أنه كان مهتماً بأحوال رعيته اهتماماً فريـــداً، وكثيراً ما كان يبقى يدور إلى منتصف الليل يتابع بنفسه الثغور والسيطرات وتحركات الرعية وحال الناس، حـــتى أنني كنت أستسلم لأسر النوم كثيراً وأنا معه في السيارة، وربما كان يتكلم فأدخل في غيبوبـــة النـــوم ثم أصـــحو وأخجل من نفسي...ولكن ما الحيلة؟ فقد رُفع القلم عن ثلاثة.

وفوق هذا كان له وِردٌ من الليل لا بد أن يُنْجِزَه، إلا أنه لطولِ سهره يضطر أن يأخذ قسطاً من الراحة بعد صـــلاة الفجر ليستأنف الحركة صباحاً.

٢١) لقد كانت رعيته تحبه، والناس العوام معجبون به، فإذا ما جالسوه أسرهم بهدوئه ورزانة كلامه ورجولة أفعاله، حتى أن أمريكا بغبائها جربت أن تغويَ أحد رعيته لتدبير حادث اغتيال له بتقنيات عالية فهز برأسه ليطلقوه فما أن أطلقوه حتى أخبر الشيخ بالأمر ...فسبحان الله ما أسخف تفكير جنرالات أمريكة! تظننا نقاتل لمال أو جاه، وما دَرَتْ أن دماء العقيدة تنبض بها شرايين جهادنا، وما دَرَتْ أنها لو تَمَكَّنَت من "الزرقاوي" فعندنا كذا وكذا زرقاوياً ولله الحمد فأمتنا أمة الجهاد وذروة سنام دينها الجهاد.

ودارت الأيام وقُتل الزرقاوي فظهر نَجْمُ خليفتِه الذي أثبتَ جدارةً قَلَّ نظيرُها، وأكادُ أجزم أن "كوندليزا رايس" الشمطاء ما صرحت بما صرحت به مؤخراً من ثناءٍ عجيب على مَقْدِرَات الزرقاوي إلا لتُوْهِنَ من سطوع خليفتِه وتألقه حتى أنه أنهكهم إنهاكاً، فما رأوا حيلة إلا أن يجربوا هذا الطُّعم: أن يرفعوا قدر الراحل عساه يُفَتِّتُ من عزيمة الجند بأن خليفته ليس كالراحل، مع أن خبرة خليفته واضطلاعه بأمور الحرب وفنون القتال ومعاشرته لرجالات الجهاد في العالم الإسلامي لهي بمكان! ولله الحمد.

بل إنني لا أنسى البتة كلمة أحد الوزراء يقول لي: [إن الخسارة حقاً أن يُقتل شيخنا "أبو حمزة"!]

- يعني أنه بغياب شيخِنا الزرقاوي وُجِدَ من يَسُدُّ المَسَدَّ ويتابع المسيرَ ويأتي بفرائد التصرفات، وبديع الأفكار والطروحات؛ فإن لم يكن له إلا خطوتُه بالانضمام مع عدد من الجماعات لتشكيل دولة العراق الإسلامية وبيعته الشيخ الفاضل "أبا عمر البغدادي" أميراً لها لكفت، وإني لأقول: لئن قتل "أبو حمزة" فإن أمتنا ستلد "أبا حمزة" جديداً، ولن يقف الجهاد، ووالله إن توفيق الله لهذه الدولة بادٍ للعيان لا يختلف في هذا اثنان لِمَا نرى من طاقة العدو الهائلة وتِقْنِيَّتِهم الفائقة مقابل إمكانيات الدولة الإسلامية الفتية، ومع هذا فإن انتصاراتها مكللة بأكاليل الغار، ونجاحاتها في سياسة الناس عجيبةُ النتائج، ولِمَ لا؟ وقد أنعم الله على الدولة الإسلامية بأميرها، وعدد من خيرة الوزراء هم أعمدة الدولة فضلاً عن شيخنا أبي حمزة بعد أن كانت حياة التنظيمات تدور غالباً على محور واحد...أسأل الله أن يَقِيَها الزلل وأن يوفقها لاستدراك الخلل؛ إذ لا تَسْلَم من هذا دولة على مر الزمان.

٢٢) نتابع في الجزء الرابع إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم.

ظهر السبت/٢/ شوال/١٤٢٨هـ

الموافق ١٣/١١/٢٠٠٧م

لا تنسونا من الدعاء

إخوانكم في

مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي

المصدر: (مركز الفجر للإعلام)